المبهمات في القرآن الكريم واثرها في التفسير

المبهم علم شريف اعتنى به العلماء قديماً وحديثاً، وهو علم معرفة ما جاء مبهماً في كتاب الله تعالى، مما لم يسمه الله باسمه، أو لم يحدده بعدده، أو زمنه أو مكانه، وبهذا العلم يكشف الإبهام ويزول الغموض.

والإبهام في القران له أسراره العظمى وأهميته الكبرى، فهو علم لا يقل أهمية عن علوم القران الأخرى، كالناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، وحاجة المفسر إليه كحاجته للعام والخاص والمطلق والمقيد، بل معرفة هذا العلم المهم ،تعتبر من الشروط التي يجب أن تتوفر في المفسر، لأن هذا العلم لا يخلوا من فوائد تفسيرية، وحكم تربوية وأساليب لغوية عالية ، تشير إلى إعجاز القران الكريم ٠

ومن هنا يتبين حرص السلف الصالح، والعلماء بهذا العلم وحرصهم على معرفته، وجمعه بل تعدى ذلك إلى الكتابة فيه كنوع من أنواع علوم القرآن الكريم، ووضحوا مفهومه وأسبابه، ونماذجه، وأثره في تفسير كتاب الله عزَّ وجل.

تعريف المبهم لغةً واصطلاحاً

أولاً: المبهم في اللغة:

بهم، البهمة: الحجر الصلب، وقيل للشجاع بهمة تشبيهاً به، وقيل لكل ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً، وعلى الفهم إن كان معقولاً: مبهم.

والبهيمة: ما نطق له، وذلك لما في صوته من الإبهام، ولكن خص في التعاريف بما عدا السباع والطير. فقال تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ**﴾ [المائدة: ١]، **وليل بهيم**، فعيل بمعنى مفعول؛ قد أبهم أمره للظلمة، وفرس بهيم: إذا كان على لون واحد لا يكاد تميزه العين غاية التمييز، والبهم: صغار الغنم.

والمبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، قال ابن منظور في اللسان: (وكلام مبهم أي: لا يُعرف له وجه يؤتى منه، مأخوذ من حائط مُبهم إذا لم يكن فيه باب، ويقال أمرٌ مبهم ، إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه ، ولا بابه.

ثانياً: المبهم اصطلاحاً:

عرَّفه الإمام السهيلي (تـ٥١٨هـ) بقوله **(ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه الله فيه باسمه العَلَم، من نبي أو ولي أو غيرهما، أو من آدمي أو ملك، أو بلد أو كوكب أو شجر، أو حيوان له اسم عَلَم، وقد**

عُرف عند نقله الأخبار، والعلماء الأخيار). وزاد ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) على تعريف السهيلي: (**أو عدد لم يُحدد، أو زمن لم يُبين أو مكان لم يُعرف وغيرها)**

ثالثاً : الإبهام عند الأصوليين:

الذي يظهر أن المبهم عند الأصوليين هو ما يقابل العام: **(المجمل في اصطلاح الأصوليين: هو المبهم، والمبهم هو الذي لا يعقل معناه، ولا يدرك منه مقصود اللافظ ومبتغاه).**

ومن خلال ما سبق يتضح أن المبهم هو كل لفظ ورد في القرآن الكريم، من ذِكر من لم يسمه الله فيه باسمه العلم، من نبي أو ولي ، أو غيرهما ، من آدمي أو ملك ، أو جني، أو بلد ، أو كوكب ، أو شجر ، أو حيوان له اسم علم أو عدد لم يحدد أو زمن لم يُبين أو مكان لم يُعرف.

فمثال العَلَم المبهم:

قوله تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم : ٥] فالضمير في ﴿عَلَّمَهُ﴾ المراد به: جبريل (عليه السلام).

ومثال العدد المبهم:

قوله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ**﴾ [الكهف : ٧٨] قيل: كان عددهم سبعة.

ومثال الزمن المبهم:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾ [الدخان : ٣] المراد بهذه الليلة: هي ليلة القدر.

ومثال المكان المبهم:

قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا**﴾ [يونس: ٩٨] والمراد: قرية نينوي.

الأصل فيه واهتمام السلف الصالح

الأصل في علم المبهمات:

ذكر الإمام السيوطي أن الأصل في علم المبهمات هو ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **(مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، فوقفت له**

حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتين تظاهرتا على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من أزواجه؟! فقال: تلك حفص وعائشة، قال: فقلت: والله إنيِّ كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك).

ووجه الدلالة من هذا الأثر، هو حرص واهتمام ابن عباس (رضي الله عنه) في البحث عن هذا المبهم في القرآن، وهو اسم اللتين تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من زوجاته، مما يدل على أصل هذا العلم، وأنَّه قد بحث فيه الصحابة رضوان الله عليهم وهذا يدل على شرفه ومكانته.

معرفة المبهم وحكمه

أولاً: طريق معرفة المبهم:

هذا العلم مرجعه **النقل المحض ولا مجال للرأي فيه**، ويتوصل إلى معرفته عن طريق النظر فيما يلي:

١- **في القرآن الكريم نفسه**، وهذا أعلى الطرق، وأصحها، وأسلمها، وهو يمثل ذروة سنام التفسير،: أفضل طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع بيِّن في موضع آخر، وما أطلق في موقع قيد في موضع آخر، وما جاء عاماً في موضع خصص في آخر، وما ابهم في موضع فسِّر في موضع آخر.

٢- **الأحاديث والآثار الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)** ولا شك أنه لا أحد أعلم بالقرآن الكريم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أنزل القرآن عليه ليبلغه للناس ويبينه لهم كذلك، كما قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**. [النحل : ٤٤]

٣- **أسباب النزول سواءً في كتب التفسير، أو الحديث**، أو الكتب المصنفة في أسباب النزول استقلالاً، ويشترط أن يكون سبب النزول صحيحاً صريحاً ، كما يقول الإمام الواحدي: **(ولا يجوز القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع، ممَّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب).**

ومن القواعد التفسيرية المهمة والتي توضح طريق معرفة المبهم ، قاعدة **(علم المبهمات موقوف على النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه).**

وجاء في شرح هذه القاعدة ما يلي : يعرف المبهم في القرآن من القرآن، كأن يذكر في موضع آخر، أو يدل عليه السياق، كما يعرف ذلك من السنة أو أقوال الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه، وأما ما ورد عن طريق الإسرائيليات ولم يدل على صحته كتاب ولا سنة فيتوقف فيه.

ومن أمثلة ما عرف طريقه من الصحابة – رضوان الله عليهم –

١- قال تعالى : **(وآخرون مرجون لأمر الله)** [التوبة : ١٠٦] فهم : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك.

ومن أمثلة ما عرف طريقه من السنة :

١- قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم – عليه السلام – : **(ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ)** [إبراهيم : ٣٧] بينت السنة أنه إسماعيل (عليه السلام).

٢- قال تعالى : **(فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة)** [الكهف: ٦٥] هو الخضر (عليه السلام).

ثانياً: حكم البحث عن المبهم:

<u>ولبيان حكم البحث عن المبهم لا بدَّ من تقسيم المبهم إلى قسمين:</u>

القسم الأول: وهو ما استأثر الله بعلمه، أو نهى عن البحث فيه، فهذا القسم لا يجوز البحث عن ذاته، ويجوز البحث في جنسه كقوله تعالى: **﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** [الأنفال : ٦].

القسم الثاني: وهو ما خلا عن النهي المذكور، فهذا يجوز البحث فيه، بالطرق المذكورة سابقاً.

<u>قال الزركشي في البرهان</u>: (لا يُبحث عن مبهم أخبر الله تعالى باستئثاره بعلمه).

قال السيوطي في قوله تعالى : ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ ليس في الآية ما يدل على أنّ جنسهم لا يُعلم ، وإنما المنفي علم أعيانهم ، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن ، وهو نظير قوله تعالى في المنافقين : (وممن حولكم من الإعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) ( ) [التوبة: ١٠١] .

ومن خلال ما ذكر سابقاً يتضح لنا أن من المبهمات **ما يجوز البحث** عنها ومعرفة حقيقتها، واستنباط حكمة إبهامها، ومنها **ما لا يجوز** البحث عنها ويجب التوقف وعدم الخوض فيها.

وما يجوز البحث فيه ينقسم إلى قسمين:

١- مبهمات وجد لها نصوص صحيحة تفسرها وتعينها فهذه يجوز التفسير بها.

٢- مبهمات لا يمكن الجزم بتعيينها لعدم النقل الصريح الصحيح، فهذه لا يجوز تفسيرها بها، ويجب التوقف عندها، وعدم الخوض فيها.

المؤلفات في علم المبهم

ارتبطت حركة التأليف في **علم المبهم بالإمام السهيلي** (رحمه الله) وذلك من خلال مؤلفه ((**التعريف والإعلام بما أبهم في القران الكريم**)) حيث ذكر العلماء أنه أول مؤلف تناول هذا العلم بشىء من التفصيل والبيان وقد أودع في كتابه مبهمات القرآن، وذكرها بشيء من الإيجاز والإجمال، ولم يتناول مبهمات جميع سور القرآن، بل أغفل مبهمات **تسع وعشرين سورة**.

وممن ألف في علم المبهمات الإمام **محمد بن سليمان الزهري** في كتابه الموسوم (**البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن**).

وممن ألف أيضا **أبو عبدالله بن عسكر الأندلسى** وألف كتابه **[التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام]** ، وقد ذكر أن هدف تأليفه لهذا الكتاب هو إتمام الفائدة بذكر ما لم يذكره السهيلي.

تم ألف **ابن فرتون: أحمد بن يوسف السلمي** كتابه **[الاستدراك والإتمام للتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام]** . ويتضح من عنوان الكتاب انه استدراك من المؤلف على كتاب السهيلي أيضاً.

وكما أن الإمام السهيلي قد نال قصب السبق في التأليف في علم المبهمات فإن **جهود الإمام بدر الدين بن جماعة** أيضا نالت الشهرة والمكانة وقد أثنى **الإمام السيوطي على مؤلفاته وجهوده** مما يشير إلى قيمة مؤلفات بن جماعه وشهرتها الواسعة ، وألف بن جماعة كتابين في مبهمات القرآن هما:

الأول: كتاب [التبيان لمبهمات القرآن] ويذكر المحققون أنهم لم يقفوا عليه لا مخطوطاً ولا مطبوعاً.

الثاني: كتاب [غرر البيان لمبهمات القرآن] وقد أشار في مقدمته إلى كتابه الأول، وبين أنه مختصر منه، ويقول في مقدمته: (وهذا كتاب اختصرت فحواه من كتاب سبق لي في معناه).

وأيضا تظهر جهود أبو عبدالله محمد بن على المغربي المشهور بالبلنسى فصنف كتابه **[صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتاب الإعلام والتكميل]**.

وقد جمع في كتابه بين كتابي السهيلي وابن عسكر، كما ينقل من مبهمات ابن جماعة وتفسير الزمخشري، وابن عطية، رامزاً لكل من ينقل عنه برموز اصطلاحية.

وممن صنف فيه أيضاً: **الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني** وقد سمى كتابه **[الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام]** وقد ذكر الباحثون أنه لا يزال مخطوطاً.

ثم جاء السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، فألف كتاباً في مبهمات القرآن سماه **[مفحمات الأقران في مبهمات القرآن]** لكنه لم يبين جميع الآيات المبهمة في القرآن، رغم أنّه ذكر في مقدمته أن كتابه يفوق الكتب السابقة.

وقد بدأ الإمام السيوطي – رحمه الله – كتابه بمقدمة بين فيها أهمية علم المبهمات وضرورة الاعتناء به ، وذكر كتب من سبقه في هذا الفن، فذكر كتاب السهيلي، وابن عسكر، وابن جماعة، وأغفل ذكر كتاب البلنسي، على الرغم أنه ذكر أن البلنسي صنف الاستدراك على كتاب التعريف والإعلام للسهيلي.

وألف الشيخ بُحرَق: محمد بن عمر الحضرمي كتاباً اختصر فيه كتاب السهيلي: التعريف والإعلام، سماه: **[تلخيص تعريف الإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام]** والكتاب صغير جداً يقع في ثلاث عشرة ورقة، ولا يزال مخطوطاً.

ومن الكتب المؤلفة في موضوع المبهمات في العصر الحديث: مؤلف **الدكتور عبدالجواد خلف**، والذي سماه **[مباحث في مبهمات القرآن الكريم]** جمع فيه كما ذكر في مقدمته ما كتبه جهابذة هذا العلم كالسهيلي، وابن عسكر، وابن جماعة، والبلنسي والسيوطي.

أسباب وقوع الإبهام في القرآن وأساليبه

أولاً : الأسباب :

للإبهام في القران الكريم أسباب، وحكم، وفوائد، وأسرار، أشار لها العلماء في كتبهم ، ويعتبر الإمام الزركشى من أوائل العلماء الذين تحدثوا عن تلك الأسباب حيث ذكر في كتابه البرهان في علوم القران سبعة أسباب، وهى :

١- أن يُبهم الأمر في موضعٍ، استغناءً ببيانه في موضع آخر.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ٦] **فالمنعم عليهم هنا مبهمون**، ولكن بينهم الله تعالى في الآية الأخرى بقوله ﴿**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء : ٦٩].

٢- أن يُبهم الأمر لاشتهاره وعدم الحاجة إلى توضيحه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ [البقرة : ٣٥] فلم يذكر تعالى **اسم زوجته (حواء)** لشهرة تعينها؛ لأنه ليس له زوجة غيرها.

٣- أن يُبهم لقصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة : ٢٠٤]. قال المفسرون **نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي**، وكان قد أظهر الإسلام عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهرب، ومرّ بزرع لقوم من المسلمين وبحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر، ثم أسلم ذلك وحسن إسلامه.

٤- أن يُبْهم الأمر حيث لا فائدة في تعيينه، وغالب أمثلة الإبهام ناشئة من هذا السبب.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة : ٢٥٩] والمراد بالقرية: بيت المقدس، ولا فائدة في هذا التعيين.

٥- أن يُبهم الأمر للتنبيه على عمومه، وأنه غير خاص بمن ورد فيه إبهام.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء : ١٠٠]. قيل: أنها نزلت في **ضمرة بن العاص**، كان من المستضعفين بمكة، وكان شيخاً كبيراً، فلما نزلت آية الهجرة خرج من مكة فمات بالتنعيم، فإبهام الاسم في هذا الموضع لإفادة عموم الأجر لكل من نوى الهجرة فمات دون أن يبلغ ما هاجر إليه.

٦- أن يبهم الأمر لقصد تحقيره بذكر الوصف الناقص له دون اسمه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ والمراد به كما ذكره المفسرون هو: **العاص بن وائل السهمي**. ومن ذلك المبالغة في الوصف كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم : ١٠-١٢] فقد قيل: إن المراد بها هو **الأخنس بن شريق**، وإنما أبهم الله تعالى صاحب هذه الصفات؛ للمبالغة فيها، وتحذير الغير من أن يقع فيها.

الاستاذ المساعد

محمد محمود محمد الزبيدي